فقه العلاقات البشرية (1) عبر ديوان "أغوار النفس" العلاج النفسى (مقدمة)

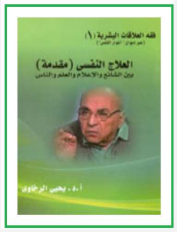

بروفيسور يحيـــــى الرخـــــاوي – الطب النفسي، مصر
yehiatrakhawy@hotmail.com

كتبتُ "هذا العمل" فى السنوات الأخيرة على فترات متقطعة، وقد حبسته فى محفوظاتى، مثلما أحبس كثيرا مما أكتب لأسباب مختلفة، من ذلك: الخوف من الخلط بين أدوارى فى رحلتى فى هذه الحياة، فأنا طبيب أمارس المهنة، وأنا أستاذ بالجامعة، وأنا صاحب قلم بعض الوقت.. إلخ

لا أجرؤ أن أعرض نفسى على الناس "حاليا" لأنى مازلت أرتدى قميص الطبيب وأتصدى لعلاجهم، وهم يحتاجون أن يرونى كذلك

المحتوى

- إهــداء هذه الطبعة (2018)
- إهداء الطبعة الأولى لديوان "أغوار النفس "
- مقدمة الطبعة الأولى للمتن ديوان أغوار النفس (الديوان: 1977)
- مسودة مقدمة الطبعة الحالية (كتبت سنة 2009)
- مقدمة جامعة (2018)
- الإهــداء

الفصل الأول: المتن الشعرى (مجتمــعاً: ابتداءً)

الفصل الثانى: صعوبة الكتابة فى "العلاج النفسى" ومضاعفاتها

الفصل الثالث: الخوف من النقد المعيق، واختراقه

الفصل الرابع: "المريض ورّانى نفسى"

الفصل الخامس: حب للبيع!

إهداء

إهــداء هذه الطبعة (2018)

إلى "هذه المجموعة الطيبة الرائعة من البشر "المصريين"

الذين ألهمونى بصدق ما "هُم"، وما هو نحن، فكان هذا العمل "ديوان أغوار النفس" بالعامية المصرية،

مع أنه لا يصوّرهم "هم" بصفة شخصية!!! جزاهم الله خيرا.

إهداء الطبعة الأولى لديوان "أغوار النفس"(1977)

إلى الأصدقاء الذين تركونى: أمانة، أو مسئولية، أو خوفاً.

وإلى هؤلاء الذين لم يعرفونى: دفاعاً، أو إهمالا، أو رفضا.

أهدى هذا العمل عرفانا بجميلهم،

وتأكيدا لمسئولية اختيارى ما هو "أنا"

مقدمة الطبعة الأولى لديوان: "أغوار النفس" (1977)

–1– كتبتُ "هذا العمل" فى السنوات الأخيرة على فترات متقطعة، وقد حبسته فى محفوظاتى، مثلما أحبس كثيرا مما أكتب لأسباب مختلفة، من ذلك: الخوف من الخلط بين أدوارى فى رحلتى فى هذه الحياة، فأنا طبيب أمارس المهنة، وأنا أستاذ بالجامعة، وأنا صاحب قلم بعض الوقت.. إلخ، ولعل

هذا بعض ما أشرت إليه فى بعض الحواشى فى كتابى "سر اللعبة"، (دراسة فى علم السيكوباثولوجى)، من أنى لا أجرؤ أن أعرض نفسى على الناس "حاليا" لأنى مازلت أرتدى قميص الطبيب وأتصدى لعلاجهم، وهم يحتاجون أن يرونى كذلك.

ومنها أن جرعة رؤيتى لنفسى (من خلال معاناتى التى أثارها فىّ أصدقائى المرضى) بدت لى أكبر من أن تقال، حتى أنه ساورنى الشك فى كل السير الذاتية التى لايمكن أن تعرض إلا الجزء "المتاح" من صاحبها، أو حتى الجزء المدرك له من ذاته على أحسن تقدير، أما إذا زادت الرؤية فلا سبيل فى مرحلة تطور الإنسان الحالية إلى عرضها "هكذا" – ولعل هذا ما حدا بالمتصوفة إلى الكف عن الحديث فى علوم المكاشفة – ولا يملك صاحب هذه الرؤية، إذن، إلا أن يحتال ليعرض نفسه بالأسلوب السائد بلغة الفن، وربما الفلسفة أو العلم، فالفن الروائى مثلا – فى جزء منه على الأقل – يساعد صاحبه أن يتحدث عن بعض ما يرى داخله على ألسنة شخوص أعماله، (وهذا هو بعض ما حاولته فى رواية طويلة هى: "المشى على الصراط" صدر منها الجزء الأول والثانى باسم "الواقعة" ثم "مدرسة العراة.[1]"

ساورنى الشك فى كل السير الذاتية التى لايمكن أن تعرض إلا الجزء "المتاح" من صاحبها، أو حتى الجزء المدرك له من ذاته على أحسن تقدير

العمل الحالى يكاد يكون أيضا من هذا القبيل: تجربة شخصية عنيفة، جرت أكثر فى مجال شخصىّ، واختلطت بممارستى لمهنتى، وقد هزتنى كثيرا وخطيرا، وصلنى من خلالها ما لم أكن أحلم أن أراه أبدا، وعلمتنى فى مهنتى وعن نفسى ما صار هاديا لى، ومثبتا لخطواتى، وقد بلغ انفعالى بها، ومعايشتى لها، أننى حين أردت أن أسجلها خرجتْ "بالعامية المصرية" مرتدية ثوبا منظوما فضفاضا معا، فزاد حرجى وتضاعف ترددى.

ثم حدث فى فبراير الماضى حين كنت أشارك فى ندوة فى البرنامج الثانى فى الإذاعة المصرية عن كتاب الشهر مع الأستاذ الدكتورة سهير القلماوى ومؤلفة الكتاب الأستاذ الدكتورة نبيلة محمود وكان عنوانه "القصص الشعبى بين الرومانسية والواقعية"، أن طرحتُ تساؤلا على مؤلفة الكتاب عن: "ما هو البديل الحالى للقصص الشعبى بعد تناقص كمِّهِ وتشويه كَيْفِهِ"؟ وكدنا نتفق أن الإذاعة والتليفزيون ليسا بديلا حقيقيا – بوضعهما الراهن – فالقصص الشعبى والملاحم الشعبية كان لها – وما زال بدرجة ما – وظيفة سبر أغوار النفس، بالإشارة إلى الجزء المغمور منها بشكل فنى (قد يقال عنه خرافى أو أسطورى أحيانا). هذه وظيفة تكتمل بها رؤيتنا للجانب الآخر من وجودنا، وقد كان هذا الفن الشعبى يقوم بهذا الدور تلقائيا وبنجاح نسبى، تساءلت: هل ما زال الأمر كذلك، وهل من بديل؟ أين هو هذا الفن – الآن – الذى يمكن أن يصل إلى عمق ما كان يصل إليه ذلك الفن الشعبى التلقائى؟ أحسست – وقتها – أن حساسيتنا المعاصرة ضد الخرافة، نتيجة لغرور العقل الواعى ومنطقه القاصر والمتعب، قد ينتج عنها تشويه للوجود البشرى وإعاقة لنموه الحقيقى بشقيه الواعى واللاواعى، فالنمو الإنسانى لا يتم إلا إذا شمل جانبَىْ الوجود، وقرَّب بينهما سعيا إلى أن يندمجا فى كلٍّ واحد موضوعى متكامل، إن أى تقدم يتصور أنه إذا ملك ناصية العلم التقليدى وحده، فقد ملك سبيل التقدم المعاصر هو تصور خاطئ، بل هو تصور خرافى مهما سُمِّىَ علما.

إذا زادت الرؤية فلا سبيل فى مرحلة تطور الإنسان الحالية إلى عرضها "هكذا" – ولعل هذا ما حدا بالمتصوفة إلى الكف عن الحديث فى علوم المكاشفة

أحسست أن للشعر العامى بوجه خاص دوره فى هذه النقلة الحضارية – إذا أردنا أن نبحث عن بديل حقيقى، لينتشر بين الناس ويغطى هذه الفجوة التى تركها انحسار القصص الشعبى واختفاء "الحدوتة" من بيوتنا ومجالس سمرنا.

رجعت أقلب فى أوراقى "هذه" التى سبق أن كتبتها من سنوات، وتصورت أنها قد تؤدى دورا فى رؤية النفس الإنسانية، وأنها – رغم صعوبة بعض أجزائها – ليست أصعب من بعض الفن الشعبى الذى أدى وظيفته بشكل ما. رحت أراجع بعض ما كتبت من أكثر من عشر سنوات عن أرجوزة "واحد اتنين سرجى مرجى" ثم عن "الحيل النفسية فى الأمثال العامية"، ونشر فى مجلة الصحة النفسية، ثم فى كتابى "حياتنا والطب النفسى :[2]"فوجدت أن علاقتى بهذا الفن الشعبى – تفسيرا حينذاك – ليست جديدة، ثم تذكرت تفسيرا آخر قدمته للأغنية الشعبية "يا طالع الشجرة"، نشر فى

تجربة شخصية عنيفة، جرت أكثر فى مجال شخصىّ، واختلطت بممارستى لمهنتى، وقد هزتنى كثيرا وخطيرا، وصلنى من خلالها ما لم أكن أحلم أن أراه أبدا، وعلمتنى فى مهنتى وعن نفسى ما صار هاديا لى، ومثبتا لخطواتى

ملحقِ مَا لمجلة الهلال[3]، جعلت أسترجع كل ذلك وأنا أقرأ أوراقى هذه، فوجدت أن هذا الذى بين يدى يستحق أن ينشر بالمعنى الذى خطر لى أثناء هذا النقاش الإذاعى.

الحكى الشعبى يُحدث تأثيره حتى ولو لم يكن مفهومٌ ظاهره.

لم يثننى تخوفٌ قديم على اسمى العلمى، فقد تصادف كل هذا بـــُـعـــَـيـــْـدَ حصولى على درجة الأستاذية فى فرع تخصصى، وكان هذا الحدث هو علامة أنى أستطيع أن أبدأ بداية كنت أنتظرها من زمن لأتواصل مع الناس مباشرة دون قيود الخوف على الوظيفة أو من الوظيفة. قررت أن أنتصر على ترددى وأتحمل ما يكون.

أن حساسيتنا المعاصرة ضد الخرافة، نتيجة لغرور العقل الواعى ومنطقه القاصر والمتعجب، قد ينتج عنها تشويه للوجود البشرى وإعاقة لنموه الحقيقى بشقيه الواعى واللاواعى

–2– فى هذا العمل حاولت أن أقدم رؤيتى للوجه الآخر للعلاج النفسى، ومن خلال ذلك رحت أخترق حواجز النفس الإنسانية لأعرضها كما عرفتها داخلى وخارجى، بنبض الإنسان المصرى فى الشارع.

بداية :أؤكد أنها خبرة شخصية، وأنها إنما تصف" الوجه الآخر "للعلاج النفسى فحسب، أعنى سلبياته وبعض صعوباته ومضاعفاته، أما وظيفة العلاج النفسى الإيجابية وفوائده ودوره البناء، فهذا شأن آخر، كـــُتبت فيه الكتب، وساهمت أنا كذلك فى تناوله.

إن دور الطب النفسى فـــى المجتمع المعاصر لم يتحدد بصورة كافية، والصراع بين مدارسه ليس صراعا نظريا بحتا، بل هو اختلاف له دلالته، اختلاف خليق بأن يجعل الإنسان العادى يقف مرتين قبل أن يأخذ معطياته المتواضعة مسلمات "بلا نقاش."

–3– العلاج النفسى يشمل عدة أنواع، من أهمها ما يسمى أحيانا العلاج بـــ "الكلام" حتى أن بعض الباحثين أسمى هذه الطريقة "الشفاء عن طريق الكلام"، حيث يتصور – أو يصوّر– هؤلاء أن الكلام وخاصة التفريغ هو العامل العلاجى فى العملية العلاجية خاصة ما يسمى منها: "التحليل النفسى" الذى روّج بعض المتحمسين له جدا لآليات الاسترسال، والتداعى، والتبرير، والمريض يستلقى على حشية لمدة معينة... إلخ.

النمو الإنسانى لا يتم إلا إذا شمل جانـــبَـىْ الوجود، وقـــَرَّب بينهما سعيا إلى أن ينصهرا فى كلٍّ واحد موضوعى متكامل

إن الكلام هو ما يميز الإنسان – (أو هو من أهم ما يميز الإنسان)، لكن حين يحل "الكلام" محل الحياة، أو حين يصبح العلاج بالكلام هو المبرر الخفى للتوقف عن التطور الإنسانى والنمو النفسى، فهذا يحتاج لموقف نقدى يقظ.

مسوّدة مقدمة الطبعة الحالية (كُتبت سنة 2009)

بعد نحو ثلاثين عاما (1979 – 2009) اقتنعت أن تجربة شرح متن ديوانى الأول بالفصحى "سر اللعبة" قد نجحت إذْ خرجت منها منظومة علمية متكاملة، جارى تحديثها، هى كتابى المرجع" **دراسة فى علم السيكوباثولوجى** ."وحين قررت إعادة طبع ديوانى "**أغوار النفس** "بالعامية المصرية كتبت فى مقدمته" **إنها خطوة لعلها تحفزنى لكتابة ما ينبغى أن أكتبه".**

لا أتردد أن أكرر أننى أسارع فى نشر هذه الأعمال فى هذه الفترة من حياتى باندفاع لاهث خوفا من أن يحل الأجل، وألقى ربى وأنا كاتم شهادتى عن أصحابها، أنا أملك – ساعتها– دفاعا قويا وهو أنه هو الذى اختارنى قبل أن أتم مهمتى، لكن ماذا أقول إذا عرج الحساب إلى مسؤوليتى عن ترتيب أولوياتى؟ أعتقد أننى سوف أُسأل عن الوقت الذى أضعتـــُه فى كتابة الشعر وأنا لست بشاعر، وفى الكتابة للصحف وأنا لست سياسيا فاعلا، أو كاتب مقال أساسا، أفعل هذا أو ذاك على حساب الكتابة فيما أعتقد أنه خبرة خاصة لم تتح لشاعر أوسياسى، أو لكاتب مقال أو حتى لطبيب نفسى تقليدى.

إن أى تقدم يـــتصور أنه إذا ملك ناصية العلم التقليدى وحده، فقد ملك سبيل التقدم المعاصر هو تصور خاطئ، بل هو تصور خرافى مهما سـُـمـِّىَ علما.

عذرى كان، ومازال، هو أن كل ما كتبت، شعرا أو مقالا أو قصا، كان يدور حول محور واحد، هو البحث فى ماهية النفس البشرية "ربى كما خلقتنى**([4])**"، وهو هو الذى يستدرجنى إلى هذه المخاطرة وهى المخاطرة التى تشرح الشعر، فتمسخه، لحساب أساس جوهرى من أسس ممارسة التعرف على النفس بحثا وعلاجا، إنها رؤية غامرة، حركت ما يكمـــُنُ فىّ، فتناولتُ الأداة التى تصادف أنها وقعت فى يدي، أُبـــْلِغُ من خلالها ما تيسر لى من هذه الرؤية.

مقدمة جامعة (2018)

صدر هذا العمل بأجزائه المتالية مسلسلا فى النشرة اليومية "الإنسان والتطور" التى كنت – ومازلت – أصدرها فى موقعى www.rakhawy.net تحت عنوان "فقه العلاقات البشرية"، وذلك فى المدة من 2009/6/9 إلى 2010/9/15 وكان بمثابة "شرح على المتن" أسوة بما فعلت مع ديوانى الأول بالفُصْحى "سر اللعبة" لكننى عدلت عن أن يكون شرحا واكتفيت بأن يكون انطلاقا من الأصل الشعرى أو تداعيات عليه.

حين قررت أن أصدر هذه الطبعة الورقية قررت أن أقسم العمل إلى عدّة كتب حتى أخفف الجرعة على القارئ من ناحية، وربما أستطيع أن أوضح بعض ما غُمض بإيقاع أهدأ من ناحية أخرى.

–الكتاب الأول) الحالى" :(**العلاج النفسى (مقدمة): بين الشائع والإعلام والعلم والناس** "يحتوى شرح مقدمة الديوان المذكور، وتعرية ما وصل إليه تسطيح أو سوء فهم أو سوء تطبيق ما هو تحت مسمى "العلاج النفسى" وهى مقدمة قاسية بقدر ما وصلنى عما آلت إليه هذه الممارسة سواء ممن تصدى لها اجتهادا عشوائيا أو ممن أساء فهمها أو تطبيقها.

فى آخر لحظة اكتشفتُ أن لى قصيدة بالفصحى فى نقد العلاج عامة، والعلاج النفسى خاصة أنهيت بها ملحق ديوانى" **سر اللعبة"**، ثم عدلت عن إعادة نشرها – فى الطبعة الأخيرة – مع نفس الديوان حيث وجدت أن مكانها الأنسب هو فى هذا الجزء الأول المخصص **لنقد العلاج** عامة ، وهى بعنوان" **حب للبيع**"، وبرغم أنها بالفصحى رأيت أن أضيفها إلى كتاب النقد هذا كما ألحق بها شرحها كما ظهر فى كتابى "دراسة فى علم السيكوباثولوجى" وقد حضرتنى بعض التعديلات والتحديث على الفقرة الأخيرة من المتن وبالتالى على الشرح وذلك دون سائر القصيدة.

أما **الكتاب الثانى** فهو" :**هل العلاج النفسى مكلمة؟"**، وقد تناولت فيه نقد ما شاع عن العلاج النفسى وأنه العلاج بالكلام متجاوزا العلاقات الأعمق والأوثق بين مستويات الوعى، وخاصة فى العلاج الجمعى وعلاج الوسط، وقد ركزت فى هذا الكتاب على الكلام على الجانب السلبى للاقتصار على الكلام وسيلة أولى أو وحيدة فى العلاج حتى يكاد يصبح تسكينا أقرب إلى الموت النفسى، مما دفعنى إلى أن اسمّى القصائد "جنازات" ثم نجحتُ الآن مضطرا (رفقا بمشاعر القارئ) أن أتراجع عن ذلك واكتفى باسم "لوحات"، ولم يتغير النص والتداعيات تاركا الاسم والصفة لما يصل للقارىء مشاركاً.!!

الكتاب الثالث :هو" **قراءة فى عيون الناس** "وهى قراءة استلهمتها من الخمس عشرة زوجا من العيون البشرية الأمينة ليس بصفة شخصية مباشرة، وهى تكشف جرعة أعمق من **النفسمراضية التركيبية** Structural Psychopathology بمعنى أنها تقرأ التركيبية البشرية التى لها علاقة بلغة المرض، وكيف أن النظر فى ما يقوله المرض أساسا، (وليس فقط المريض)، والتعلم معه لغة أكثر أمانا وأقدر حفزا يحقق له – ولنا – ما أراد أن يقوله وعجز عن قوله إلا بلغة المرض،

هذه **النفسمراضية التركيبية** فى هذا الكتاب لا تكشف فقط عن ما آل إليه تنظيم (سوء تنظيم) المخ (الأمخاخ) ولكنها أيضا تعرّى أبعاد ما آلت إليه تباديل وتوافيق وصعوبات وصفقات وآليات "العلاقات البشرية" فى الصحة والمرض معا، وهو الذى اسميته مستلهما تراثنا "فقه العلاقات البشرية" وهو ما يمكن أن يقابل علم النفسمراضية (السيكوباثولوجى) فى الصحة والمرض.

وأخيرا: الكتاب الرابع، بعنوان" :**تجليات "يحيى الرخاوى" بين السيرة والمسار"**، وقد تضمن اللوحة السادسة عشر من ديوان" **أغوار النفس"**بعد أن أجلتها من الكتاب الثالث لأبدأ بها هذا الكتاب الأخير فهى قراءة فى عيونى شخصيا، علما بأننى أحترم فرضا يقول إن كل هذه اللوحات فى كل هذه الكتب ليست إلا نتاج الجدل الدائر على مستوى الوعى البينشخصى والجمعى مع مرضاى وتلاميذى وأصدقائى، فتكون أقرب إلى المعايشة الخبراتية منها إلى وصف حالات خارجى، الأمر الذى يمكن أن يسرى على الأجزاء الأربعة، فجعلت عنوان الجزء الرابع" :**تجليات يحيى الرخاوى بين السيرة والمسار."**

إهـداء (([5]) ديوان "سر اللعبة)

حاولت أن أقدم رؤيتى للوجه الآخر للعلاج النفسى، ومن خلال ذلك رحت أخترق حواجز النفس الإنسانية لأعرضها كما عرفتها داخلى وخارجى، بنبض الإنسان المصرى فى الشارع

الطب النفسى فى المجتمع المعاصر لم يتحدد بصورة كافية، والصراع بين مدارسه ليس صراعا نظريا بحتا، بل هو اختلاف له دلالته

العلاج النفسى يشمل عدة أنواع، من أهمها ما يسمى أحيانا العلاج بـ "الكلام" حتى أن بعض الباحثين أسمى هذه الطريقة "الشفاء عن طريق الكلام"

يا تَرَى الكَلْمَهْ حا تقدر تــفــْــشــِى سرىّ؟
يا ترى مين فيكــُو يستَحْمل مَرَارْتِى؟
يا ترى مين فيكــُو حايْسَاعِى شَقَاىَ؟
أهدِى مينْ؟ أهدى إيهْ؟
هوَّا عُــمــْر المُرّ يتْهادَى يا عالَم؟
قلت انطــّ فْ وسط خلق الله جميعاً..
همُّا دول حِمْل الكَلاَمْ المُرّ والدَّم اللِّى يغْلي.
هــُــمَّــا دول حِمْل الحقيقة.
قلت أهْدِيهاَ لْبلدنا،
للِّى غنّى .. واللَّى صَحَّاهْ الغُنَى.
يَا مَاقُلْتُوا يَا أَهْل مصر يا فنــَّانين،
يا غلابَهْ، يا حضارَهْ، يا تاريخ.
يا ما قُلْتُوا، ويَا مَا عِدْتُوا،...صَحِّيتُونى:
]واللى بَنَتْ مَصــْــر كاتْ فى الأصل: غِنَّيوَهْ[.
الهديّه للى غنّى، قال: "بَهيّهْ لى يَاسينْ"،
واللِّى صَحَّى لَيْلَى والمجنونْ يــغَــنُّوا لمْصَرْ تانى.
واللِّى علــِّــمْــنى حلاوة الــمُرّ .. من جُوّا النَقَايَهْ،
واللِّى.. واللِّى.. واللِّى.. واللِّى.. والجَمِيعْ.
يا ترى تقبل يا شَاعِر مَصْر يا صاحب الرِّبَابَهْ؟
يا تَــرَى يا اهْل الحَضَارَهْ والكَلاَمْ الحِلْو واللِّحْنِ الأدَانْ.
تقَبلُوا منِّى الهديَّهْ؟
أصِلى غَاوِى،
بس يا خسارَهْ مانِيشْ لا بِسْ طاقِيَّه،
قلت انقَّــْــط بالكَلاَمْ.

حين يحل "الكلام" محل الحياة، أو حين يصبح العلاج بالكلام هو المبرر الخفى للتوقف عن التطور الإنسانى والنمو النفسى، فهذا يحتاج لموقف نقدى يقظ.

لا أتردد أن أكرر أننى أسارع فى نشر هذه الأعمال فى هذه الفترة من حياتى باندفاع لاهث خوفا من أن يحل الأجل، وألقى ربى وأنا كاتم شهادتى عن أصحابها

جائزة الغالي أحرشاو لشبكة العلوم النفسية العربية في علوم النفس للعام 2018

تشرفت الجائزة التاسعة لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2018 حمل اسم

الاستــــاذ الدكتـــــور الغالـــي أحرشـــاو (علـــم النفـــس- المغـــرب)

تقديرا لمسيرته العلمية المميزة واعترافا بما قدمه من خدمات جليلة للاختصاص والصحة النفسانية

على المستوى المغربي و العربي و الدولي

أخر أجل لتقديم الترشح للجائزة 30 نوفمبر 2018

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2018/APNprize2018.pdf

http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2